

الصراع بين الفصحي والعامية

أو

أمر الأزدوج اللغوي في أسلوب يوسف إسماعيل

الدكتور زكي عبد الله

أستاذ الأدب في كلية العلوم اللغوية
جامعة يوطا (الولايات المتحدة)

واللغة الفصحي مشتركة بين العرب بينما وجدوا فالمربي يقول ما يكتب في مصر في فمه ، والمصري يقول ما يكتب في المغرب في فمه . أما اللهجات العامية فتختلف باختلاف المناطق ، واستخدامها في كتابة الأدب يحول بين الأدباء في كل منطقة وبين القراء في المناطق الأخرى .

يقيت حجة أمرب منها الدكتور محمد مندور حين زعم أن العامية الدارجة تضيق مادة بالتعبير عن أمق المشاعر وأدق المعانى « بحكم أنها لا تزال مقصورة على حياة الأميين الذين لا يستعملونها إلا في التعبير عن حاجات حياتهم الضيقة في نوع المشاعر وذلة التعبير بينما ، فضلاً عن حق الخاطر أو أصالته » (3) .

ولما ظهرت القصة الحديثة في الأدب العربي ونشا في المسرح العربي الحديث ، أخذ بعض الأدباء يتبررون باضطرارهم إلى انتقاد الشخصيات التفصية والمسرحية باللغة الفصحي . وتساءل أولئك الأدباء : المليس هجيناً أن يجري الحوار بلغة نصيحة متينة السبك بين أشخاص لم يعيروا من الثنائة كثيراً ولا قليلاً؟ المليس ذلك مما يفسد القصة والمسرحية وينأى

في العالم العربي أزدواج لغوي قوامه اللغة الفصحي واللهجات العامية الدارجة . فاما اللغة الفصحي فتستخدم في أكثر الأفراط الكتابية كما تستخدم في أكثر الأحاديث التي يغلب عليها الطابع الرسمي . وأما اللهجات العامية فيستخدمها الناس في غير تكلف لقضاء حاجاتهم العادبة . والأغلبية الساحقة من المثقفين في البلاد العربية يرون أن اللهجات العامية لا تصلح للتعبير الأدبي ، ولم في ذلك حرج يجدر بما ان نعرض لها في أيجار :

وأعلم تلك الحجج أن اللغة الفصحي لغة القرآن وهي معرفتها يتوقف فهم القرآن . لذلك تحمل ملامة اللغة فيما مضى الوانا من المشقة وضررها من العناء في شرح قواعدها (1) ، ولذلك يأبى العرب اليوم أن يستبدلوها بها اللهجات العامية في كتابة الأدب فيقصوها من حياتهم أنساء لا ندرى أعود بهم لا تعود .

ثم إن اللغة الفصحي تعتبر منذ العرب أولى من اللهجات العامية وأقلها ، واقناعها دليل مندهش على الثقافة العالية والذوق الرفيع . ليس فربما أدنى أن يرد طه حسين جهل فريق من الشعراء بالفصحي إلى الكل والتقصير والقصور (2) .

(1) « المقديمة » للعلامة ابن خلدون (القاهرة: مطبعة التقدم) ، الجزء الأول ، ص 455 .
(2) « حديث الأربعاء » لطه حسين (القاهرة: دار المعارف ، 1957) ، الجزء الثالث ، ص 200 - 201 .

(3) « المسرح النثري » للدكتور محمد مندور (القاهرة: معهد الدراسات العربية العالمية ، 1959) ، ص 81 .

وقد تجد بين صفحات الكتاب احياناً ما يبعث في نفسك شعوراً قوياً بأن المؤلف يشق على نفسه في الكتابة، ويتكلف من العناه شيئاً غير قليل في اختيار اللفاظ حتى تستقيم له العبارة ويبراً أسلوبه من العامية : (7) .

— قم يا ابن الليمة . ماذا تفعل ههنا ؟ قاله
لش رايتك خطوط الى هنا مرة ثانية لادفن منفك .

— لنقر عيناك يا ابا لمب ، ولتهدا بالا . لتنخدن
لك من داري مأوى ومخبأ .

وفي المرحلة الثانية تقسم القصة من حيث الاسلوب الى فسمين : القسم الاول هو ما يقدمه السبامي نفسه بين يدي القارئ من تحليل ووصف للزمان والمكان والاحاديث والشخصيات . وأسلوب هذا القسم فسيح رغم ان اللفاظ العامية تتسلل اليه بين الجين والعين . والقسم الثاني هو الحوار ، وأسلوبه عامي ليس فيه من آثار الفصحى الا المجاز . ومن خبر الأمثلة على اسلوب هذه المرحلة كتاب «الستمامات» (القاهرة : مؤسسة الخانجي ، 1952) الذي شرح السبامي في مقدمته موقفه من العامية :

« التقيت ذات يوم بالاستاذ احمد بك عباسى كبير مفتشى اللغة العربية بوزارة المعارف ، فأنابنى ان الوزارة كانت توشك أن تقرر بعض كتبى لمدارسها لو لا أن اللجنة المختصة رأت أن الكتب تحوى بعض عبارات بالعامية »

« وعلى هذا فلم أكدا بهذا القصة حتى ذكرت وزارة المعارف ومطالبتها التي تتفرع من اللغة العامية، وعزمت ان أقيم سباجا منها يحول دون تسرب اللفاظ العامية التي تأبى الا ان تفرض نفسها فرقاً في سياق الحديث . واخذت في الكتابة معالجاً اجراء الحوار بين ابطال القصة باللغة الفصحى ، ولكنني لم أكدا اكتب ببعض صفحات ، ولم أكدا « أحمسى » في الكتابة ، حتى وجدت ابطال القصة ينطلقون على الرغم مني في الحديث بالعامية »

بما عن الواقع الذي تجدها في تصويره ؟ ومع ذلك ظل اكثراً الادباء والنقاد يرون اللغة الفصحى خيراً اداءً للتغيير في المسرحية والقصة ، ويقاومون استبدال العامية بها ؟ فالدكتور محمد مت دور مثلاً لا يتردد في رفض الدعوة الى استخدام العامية في المسرحية ، وهو يعلّق رفضه على النحو التالي :

« كل مسرحية انما هي حكاية حال . . . ولا يمكن ان تكون حكاية لسان ، فالمؤلف لا ينطق لسان مقال شخصياته الروائية بل ينطق لسان حالم ، والواقعية ليست في اللغة وانما في التصوير النفسي للشخصيات ومدى مطابقة هذا التصوير لواقع العيادة الظاهر منها والخفي ، والذي تستطيع الشخصيات التعبير عنه او لا تستطيع . والذي يحدث فعلاً هو ان المؤلف يعبر بلغته هو وب Lansane ، وكل ما يطلب منه هو ان يأتي تعبيره صادق التصوير لواقع شخصياته . وسيبان في ذلك - من الناحية الفنية - ان يستخدم لغة عربية نصيبة او عامية او اية لغة اخرى » (4) .

والاديب المصري يوسف السبامي من يرون ان العامية في القصة والمسرحية دوراً ي يجب ان تؤديه . وقد عرضه ذلك لنقد هنيف رد عليه اكثراً من مرة لم تظهر بالامراض عنه ، ولكنه تأثر به ما في ذلك شك ، فقد من اسلوبه القصصي بمراحل ثلاث : كان في المرحلة الاولى اسلوباً جزاً فسيحاً يكثر فيه الاستشهاد بالشعر ويوشك ان يبراً من العامية . ومن خبر الأمثلة على اسلوب هذه المرحلة كتاب «اطياف» (القاهرة : مؤسسة الخانجي ، 1947) ، فانه تقرأ فيه الصفحة تلو الصفحة فلا تجد من العامية (5) الا الفاظ قلائل متفرقة ، يدل عليها المؤلف ويميزها من بقية اللفاظ كانه يعتذر منها الى القارئ : (6)

اني لم ارك منذ كنت تصطاد السمك على شاطيء الترعة « بالبنطلون التقصير »

ما زالت ذاكرتك قوية « يا عم محمد »

ساجهز لك « سنارة » لصيد السمك .

(4) المرجع السابق ، ص 57 - 58 .

(5) اللهجة العامية التي يستخدمها يوسف السبامي في قصصه هي اللهجة القاهرة .

(6) ص 82 .

(7) المثال الاول مقتبس من صفحة 25 والثانى مقتبس من صفحة 28 .

« ولست أشك أننا في فترة صراع بين العامية
والفصحي »

« وهذه قصة يبدو فيها هذا الصراع بين
الفصحي والعامية . ولا جدال هناك في أن الفصيحة - في
الحوار - للعامية ، لأنه من المستقل الموجو أن نحاول
انطاق اشخاص القصة باللغة الفصيحة وهم لا يمكنهم
في حياتهم الطبيعية ان ينطقوا بها » . (8)

واستئنار العامية بالحوار جلي في العبارات التالية
التي تقبسها من الكتاب : (9) .

— ما فيش لزوم يا شحاته أفندي . أنا رايح
التهوة بـأعانتنا عشان عندي شوية شغل عايز اقضيهم .

— وماله . تقضي شفلك وبعدين نروح سوا .
بقى اسلوب المرحلة الثالثة ، وهو يفوق

الاساويين السابقين في الاهمية لسبعين :

اما السبب الأول فهو ان السباعي يلتزم ذلك
الاسلوب في اكثر ما كتب من قصص ، ولعنه قد استقر
والخدع مدتها دالما . واذن فقد يكون ذلك الاسلوب
النتيجة التي انتهى اليها الصراع بين العامية والفصحي
عند السباعي . وما دامت خصائص الازدواج اللغوي
واحدة في كل مكان (10) فقد يكون في اسلوب هذه
المرحلة من الخصائص ما هو شائع في الاساليب
القصصية ايما يوجد الازدواج اللغوي .

واما السبب الثاني فهو ان السباعي من اكثرب
العرب انتاجا ، فقد نشر بين عامي 1947 و 1968
خمسة وأربعين كتابا ، منها خمس مطولات مترجمة في
الطول هي : « رد قلبى » و « ناديا » و « جفت الدموع »
و « ليل له آخر » و « نحن لا نزرع الشوك » . و اكثر
قراء السباعي من الشبان الذين بعدا حياتهم الادبية
عادية بتقليل ما يطالعون . وقد ظفر السباعي من نسأله
النقد (11) بما يغري القراء بتقليله ان كانوا في حاجة
الا افراط ومنهم من يعجبون به اعجابا يخرجهم من

• 8 - 6 ص (8)

• 261 ص (9)

(10)

Charles Ferguson, « Diglossia », Word, Vol. XV (1959), pp. 325-340.

(11) من هذا الناء ما كتبه توفيق الحكيم في « يا امة ضحكت » ليوسف السباعي (القاهرة : مطبعة روز يوسف 1955) ، ص 5 - 8 .

(12) سجل يوسف السباعي شيئاً من هذالامجاح في كتابه « اني راحلة » (القاهرة : مؤسسة
الخانجي 1950 ، من 10 - 15 .

فستان بمية - زهور بمية - ناس بلدي
ولتلحظ ان السبامي في اقتباسه من العامية
متاثر بالفصحي من حيث لا يدري . فما ينطق في بعض
الكلمات العامية همزة يكتب السبامي قافا ، وما ينطق
في البعض الآخر دالا يكتبه ذالا :
نقبها - خذ بالك

اصطداع كلمات « الطبة الدنيا »

الكلمات المشتركة بين اللغة الفصحي
واللهجة العامية القاهرة ثلاثة انواع :

(1) كلمات لا تختلف صيغها العامية من صيغها
الفصحيحة ، ومن هذه الكلمات « كتب » و « درس » و
« بلد » و « من » و « هل جرا » .

(2) كلمات لكل منها صيغة فصحيحة واخرى
عامية : والصيغتان تختلفان اختلافا يقرره قانون
لغوي عام . فالصيغة الفصحيحة « دائم » و « صائم » و
« عائم » و « دائم » و « فوالد » تختلف من نظائرها في
اللهجة القاهرة (« نايم » و « صايم » و « عايم » و
« دائم » و « فوايد »)
اختلافا يقرره القانون اللغوي القائل ان المستقات من
مجرد الثنائي الاجوف تكون عينها في العامية القاهرة
ياه اذا كانت في الفصحي همزة .

(3) كلمات لكل منها صيغة فصحيحة واخرى
عامية : والصيغتان تتشابهان الى حد وتخالفان
الى حد ، ولكن ما ينتهي من فرق لا يقرره قانون عام .
فالفرق الذي تميز الصيغة الفصحيحة « رجل » و
« امرأة » و « عربة » من نظائرها في اللهجة القاهرة
(« راجل » و « مره » و « عربيه ») لا تقررها قوانين
عامة .

ومن الكلمات المشتركة ما له مترادفات تنفرد
بها الفصحي من دون العامية ، ومنها ما ليس له مثيل
هذه المتtradفات : فال فعل « دوخ » مشترك بين العامية
والفصحي ، وله مرادف فصحي لا شترك فيه العامية
هو « أرهق » . واسم الفاعل « صالح » مشترك بين
العامية والفصحي كذلك ، الا اننا لا نجد له مرادفا
تنفرد به الفصحي من دون العامية .

غير ان ما يكتبه السبامي من اللغات الاجنبية
قبل اذا قيس بما يكتبه من العامية . ذلك ان
السبامي لا يقنع في اقتباسه من العامية بالفردات بل
يتعداها ، كما ترى في الامثلة التالية ، الى العواير
ولا سيما العواير المجازية والامثال السائرة :

ماما	نحة	مبطة
بابا	جاكتة	برفند
شمامه	فاللة	طقس
زور	فللة	
اممال	سي (سي عمر)	
الله !	ياريت	
اما (اما مفاجاة)	وماله	

على سن ورمح - عيون فارغة - يفتح الله
لا هنا ولا هناك (أنا لا هنا ولا هناك)
جهه نقبها على شونة
اكف الجرة على فمه تطلع البنت لامها
الله يخرب بيته - الله يعمري بيته - لا مؤاخدة

راح الله لا يرجعه - اشيل مين فيهم - راجل ايط
انت بنت مایعة - مياعة بنات - مش بطال - برك
على انفاسي - حاضر يا فندم .

ونمة نوع آخر من الاقتباس يتميز به الحوار في
المراحلة الثالثة هو اقتباس التراكيب من العامية .
ومن امثلة ذلك :

- (1) العطف بدون حرف عطف :
قومي البسي
- (2) تكرار اللفظة للدلالة على الاستهثار :
شيوعيون شيوعيون
- (3) مخالفة البدل للمبدل منه في التعريف
والتشكيير :
هند دادة فاطمة
- (4) استعمال الواو للدلالة على الاستمرار :
ثلاث ساعات وانا وائف على قدمي
- (5) مخالفة بعض الصفات للموصوف في
الذكر والثاني ، او في الافراد والثنانية والجمع :

مقطعة

رافدة

يرهونه

بدوخرنونه

ترجمة التعبير العامية الى الفصحي

نصيحة الدكتور محمد مندور للقصاصين بترجمة اقوال العامية كلما دامت الى ذلك مشاكلة الواقع (13). وقد وفق السباعي الى نوع من الترجمة لا نزعم انه يرضي الدكتور محمد مندور ، ولكنه ابرز ما يتميز به الحوار في المرحلة الثالثة .

بعد السباعي الى العبارة العامية فيبني فيها على النوع الاول من الكلمات المشتركة ، اما بقية الكلمات المشتركة فانه يستبدل صيغها العامية بالصيغة الفصحي ، وأما الكلمات التي تتفرق بها العامية من دون الفصحي فانه يستبدلها بنظائرها الفصحيه . وفيما يلي بعض العبارات العامية ، والترجمة التي يستعملها السباعي ، والبارات التي يؤثرها انصار الفصحي :

يمكننا اذن ان نقسم الكلمات الفصحيه الى ثلاث طبقات : طبقه عليا تائف من كلمات تنفرد بها الفصحي من دون العامية (مثل « حداء ») ، وطبقه وسطى تائف من كلمات مشتركة لصيغة الصيغة ليس لها مترادفات بين كلمات الطبقه العليا (مثل « صالح ») ، وطبقه دنيا تائف من كلمات مشتركة لصيغة الصيغة لها مترادفات بين كلمات الطبقه العليا (مثل « دوخ ») . وكلمات الطبقه الدنيا تسم بطبعي مامي مصدره وجود مترادفات لها في الطبقه العليا . لذلك يزور انصار الفصحي من كلمات الطبقه الدنيا ؛ اما يوسف السباعي فيعتمد اختيار تلك الكلمات ليبلغ ما يريد من التوفيق بين العامية والفصحي . وفيما يلي بعض ما يستعمله السباعي من كلمات الطبقه الدنيا ، وما يؤثره انصار الفصحي من كلمات .

كلمات الطبقه العليا

المهمن

كلمات الطبقه الدنيا

فهمني

العبارات الفصحيه	الترجمة	العبارات العامية
معافى تمامًا	سليم اربعة وعشرين قيراطا	سليم اربعة وعشرين قبراط
معافى تمامًا	سليم مائة في المائة	سليم بي في الميه
معافى تمامًا	كالجبن الازرق	زي الجبن الازرق
خاء عليك الكثير	فالك نصف ممررك	فالك نص ممررك
ارهقني من امري مسرا	ارانسي نجوم الظهر	ورانسي نجوم الفهر
تنصب له اشراكها	تشغل مليه	تشغل عليه
امطانى ايها في الحال	امطاها لي وانا واقف	ادهانى وانا واقف
رمضان لا يعنينى في شىء	لا يهمنى رمضان	بيهمنيش رمضان
رجل طيب القلب	رجل امير	راجل امير
تاين ما يشبن	تميلين العملة	تملى على العمله
احتىمى	لمى جسمك	لمى جسمك
لا بد ان التوب لم يات من عند	لا بد ان التوب لم يات من هند	لازم الفتستان ما جاش هند
الكراء	المكوجسي	المكوجسي

(13) « في الميزان الجديد » للدكتور محمد مندور (القاهرة : مطبعة نهضة مصر) ، ص 55 .

انا احب مسام
اريد فيرار لنادبة
وضع الدكتور لها مرهم
انظفين الرئيس جمال عبد الناصر فاضي؟

يرى تشارلز فرغسون ان « التخصص من اهم مميزات الاذداج اللغوی » . (14) وهو يقصد بذلك ان العامية قل ان تؤدي من وظائف الفصحى شيئاً ، وان الفصحى قل ان تؤدي من وظائف العامية شيئاً، ذلك حق ، ولكننا نرى مما سبق ان العامية والفصحي تتنازعان في بداية الامر ، وان ما يكون بينهما من تنازع على وظيفة بعینها لا يتمخض عن نصر حاسم الا بعد مرور زمن قد يطول . فظهور وظيفة جديدة في الادب العربي ، هي القصة الحديثة ، قد اثار بين العامية والفصحي خصومة شديدة وصراعاً عنيفاً . وليس اسلوب المرحلة الثالثة عند السباعي الا انوار من آثار هذه الخصومة وصدى من اصداء ذلك الصراع .

ونحن نصر على ان نقطة الانطلاق ليست العبارات الفصحيّة ، اي ان السباعي لا يعتمد الى العبارات الفصحيّة فيختار منها اقربها الى العامية . ولو كان ذلك مذهب لاما هنرنا في كتبه على تعاير مثل « رجل امير » و « تستغل عليه » لأنها لا تؤدي في اللغة الفصحى ما يقصد اليه من معنى .

تجريد بعض الكلمات من علامات الاعراب

اكثر الكلمات التي يجردها السباعي من علامات الاعراب هي اسماء العلم ، وهو يجردها عادة من علامة النصب ومن التنوين . غير أن السباعي أحياناً يجرد من علامات الاعراب ومن التنوين كلمات غير اسماء العامية . وستتجدد في الجمل التالية امثلة على ما نقول:
سأعود الى البيت لارى فاضل
لا بد ان اذهب لارى مسام

Charles Fergusson, « Diglossia », Word, Vol. XV (1959), p. 328. (14)

